



مختبر تاريخ الجزائر

م.ت.ج: 42/ 2021

وهران في: 15/04/2021

شهادة نشر مقال

يشهد الأستاذ الدكتور عبد القادر بوباية مدير مختبر تاريخ الجزائر، ورئيس تحرير مجلة عصور الجديدة، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1، بأن الدكتور مسعود بركة أستاذ محاضر ب، جامعة مين دباغين، سطيف 2، أرسل المقال العلمي التالي: "طرق التدريس ومناهج تحصيل المعرفة ببجاية خلال الحكم الحفصي (ق 7-9هـ/13-15م)" للنشر في مجلة عصور الجديدة بتاريخ 2019/11/29، تمت مراجعته بتاريخ 2020/04/01، تمت الموافقة عليه من طرف الهيئة العلمية للمجلة بتاريخ 2020/04/29، ونُشر بتاريخ 2020/05/18، يوجد المقال في الصفحات من 177-197.

سلمت هذه الشهادة بطلب من المعني لاستخدامها وفق ما يسمح به القانون.



رئيس التحرير
أ.د. عبد القادر بوباية



مجلة عصنور الجديدة

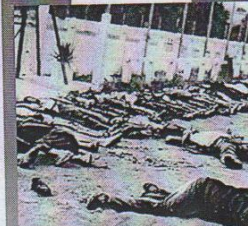
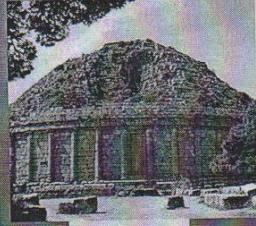
جامعة وهران 1
Université
Oran
1
أحمد بن بلة

المجلد

10

العدد

2



مجلة فصلية محكمة مصنفة ج يصدرها مختبر تاريخ الجزائر
- جامعة وهران 1 أحمد بن بلة - الجزائر
المجلد 10 - العدد 2 - (جوان) 1441 هـ / 2020 م

- * شذرات تريبوية تعليمية من حياة بعض الخلفاء العباسيين ما بين 750-861م
- * جرائم الاتحراف الجنسي في مجتمع المغرب الإسلامي من خلال وصف إفريقيا للوژان "قراءة في البواعث والإجراءات"
- * غيباب الأنب المرطوب عن محيطه الأسري وتأثيره على حياة الطفل بالمغرب الأوسط بين القرنين 7-9هـ / 13-15م
- * الوضع القانوني للأرض والاضطرابات الاجتماعية في الأندلس: ثورة الربض
- * نص جديد من كتاب "البيان المغرب" لابن عذاري المراكشي
- * علم المواقيت في المشرق والمغرب الإسلاميين (157-91هـ / م)
- * مسألة القرصنة أو الجهاد البحري في المغرب الإسلامي: دراسة مقارنة
- * تأثير العصبية القبلية في تأسيس الدولة المرينية من خلال كتاب العبر لابن خلدون
- * اللسان الناطق لسكان منطقة بلزمة "دراسة في اللهجة الشاوية"
- * طرق التدريس ومناهج تحصيل المعرفة ببيانية خلال الحكم الحفصي (7-13هـ / 15-13م)
- * كاطمة في عيون الجغرافيين والأدباء
- * مأساة الموريسكيين بين اجتهاد القنوي وغيباب القوة العسكرية 906-950هـ / 1500-1543م
- * العلاقات التجارية بين إيالة الجزائر ومملكة الدنمارك في نظر القنصل لودلف هامكين (LUDOLF HAMMEKEN) (1746-1751 م)
- * معاهدة الصلح بين الجزائر واسبانيا سنة 1791م
- * النساء الحضرة والنشاط الحرفي في الجزائر خلال الفترة العثمانية على ضوء الكتابات الأجنبية
- * موقف الشيخ البكري بن عبد الرحمن التواتي من كتابات محمد بن مصطفى بن الخوجة الجزائري سنة 1898م
- * دور المؤتمرات الدولية في دعم وتدويل القضية الجزائرية في المجال الإفريقي والآسيوي 1955-1962
- * إستراتيجية الثورة الجزائرية في مواجهة وتحديد الإدارة الاستعمارية الفرنسية (1954-1962)
- * نشاط منظمة الجيش السري الفرنسية في مدينة وهران وانعكاساته (1961-1962)
- * أماكن الذاكرة بالمغرب: مراكز الاعتقال التعسفي بجهة درعة- تافيلالت نموذجاً
- * إكتشاف موريتانيا نوفمبر 2019م

درد ISSN 2170-1636 EISSN 2600-6324 الإبداع القانوني 1156-2014

فهرس الموضوعات

- * كلمة مدير المختبر ورئيس التحرير.....أ.د عبد القادر بوباية/ص6
* شذرات تربوية تعليمية من حياة بعض الخلفاء العباسيين ما بين 132-247هـ/750-861م.....عثماني أم الخير- الجزائر/ص9
* جرائم الانحراف الجنسي في مجتمع المغرب الإسلامي من خلال وصف إفريقيا للوزان
"قراءة في البواعث والإجراءات".....بركات كمال- بوعقادة عبد القادر- الجزائر/ص31
* غياب الأب المفرط عن محيطه الأسري وتأثيره على حياة الطفل بالمغرب الأوسط بين
القرنين 7-9هـ/13-15م.....بوقاعدة البشير- الجزائر/ص52
* الوضع القانوني للأرض والاضطرابات الاجتماعية في الأندلس: ثورة الربض.....
.....محمد حقي- المملكة المغربية/ص73
* نص جديد من كتاب "البيان المغرب" لابن عذاري المراكشي.....
.....محمد المرتضي- المملكة المغربية/ص89
* علم المواقيت في المشرق والمغرب الإسلاميين (1-9هـ/7-15م).....
.....مصطفى بن واز- الجزائر/ص111
* مسألة القرصنة أو الجهاد البحري في المغرب الإسلامي: دراسة مقارنة.....
.....الطاهر قدوري- المملكة المغربية/ص131
* تأثير العصبية القبلية في تأسيس الدولة المرينية من خلال كتاب العبر لابن خلدون.....
.....فاطمة خريس- يخلف حاج عبد القادر- الجزائر/ص147
* اللسان الناطق لسكان منطقة بلزمة "دراسة في اللهجة الشاوية".....
.....ممدوح بومخيلة- فتيحة سيفو- الجزائر/ص162
* طرق التدريس ومناهج تحصيل المعرفة بيجاية خلال الحكم الحفصي (7-9هـ/13-15م).....
.....مسعود بركة- الجزائر/ص177
* كاظمة في عيون الجغرافيين والأدباء.....عايد عتيق جريد- الكوس/ص198
* مأساة الموريسكيين بين اجتهاد الفتوى وغياب القوة العسكرية 906-950هـ/1500-1543م.....
.....فاطمة الزهراء حميش- الجزائر/ص211



- *العلاقات التجارية بين إيالة الجزائر ومملكة الدنمارك في نظر القنصل لودلف هامكين (Ludolf Hammeken) (1746-1751م).....صرهودة يوسف- الجزائر/ص229
- *معاهدة الصلح بين الجزائر واسبانيا سنة 1791م..... بن عتوبليروات- الجزائر/ص249
- *النساء الحضر والنشاط الحر في الجزائر خلال الفترة العثمانية على ضوء الكتابات الأجنبية.....إيمان شريط- بن عمر حمدادو- الجزائر/ص266
- *موقف الشيخ البكري بن عبد الرحمن التواتي من كتابات محمد بن مصطفى بن الخوجة الجزائري سنة 1898م.....عبد الله بابا- الجزائر/ص277
- *دور المؤتمرات الدولية في دعم وتدويل القضية الجزائرية في المجال الإفريقي والآسيوي 1955-1962.....سعاد بولجويجة- الجزائر/ص294
- *إستراتيجية الثورة الجزائرية في مواجهة وتحجيد الإدارة الاستعمارية الفرنسية (1954-1962).....سليم سايج- الجزائر/ص313
- *نشاط منظمة الجيش السري الفرنسية في مدينة وهران وانعكاساته (1961-1962).....عبد الناصر بختي- محمد لعباسي- الجزائر/ص336
- *أماكن الذاكرة بالمغرب: مراكز الاعتقال التعسفي بجهة درعة- تافيلالت نموذجاً.....عبد المجيد الهلالي- المملكة المغربية/ص359
- *إكتشاف موريتانيا نوفمبر 2019م.....عبد القادر خليفي- الجزائر/ص378
- *الإصدارات الجديدة- 2020.....عبد القادر بوباية- الجزائر/ص403
- *MARKRIA Souhila- Los Mudejares Granadinos: de una Convivencia Pacífica a una Evangelización y Asimilación represiva.....p.410
- *KHINECHE Soumèya- American Health Care Insurance Systems and Reforms from George Walker Bush to Barack Husein Obama.....p.423

طرق التدريس ومناهج تحصيل المعرفة ببجاية
خلال الحكم الحفصي (ق7-9هـ/13-15م)
Teaching and learning methods in Bejaia
during the Hafsid rule (7-9-AH/13-15 AD)



كـمـاسـم ولقب المؤلف المرسل للمقال: مسعود بركة- Brika Messaoud صص 177
الدرجة والعنوان المهني: أستاذ محاضر- جامعة محمد لـين دباغـين- سطيف2
البريد الإلكتروني: messaoubri@yahoo.fr

تاريخ استقبال المقال: 2019/11/29 تاريخ المراجعة: 2020/04/01 تاريخ القبول: 2020/04/29

المخلص: يهدف هذا العمل العلمي الذي يندرج ضمن التاريخ الثقافي لمدينة بجاية خلال الحكم الحفصي (ق7-9هـ/13-15م) إلى تتبع الحراك العلمي بالمدينة، بالبحث في طرق التدريس المتبعة، ومناهج تلقين المعرفة العلمية عبر المؤسسات التعليمية بالمجال البجائي، وتناولت الموضوع بالبحث في إشكالية طرق التدريس التي انتهجها الأساتذة الفقهاء، وهل بقيت الطريقة الكلاسيكية هي السائدة، أم هناك طرق جديدة؟ وتحليل العوامل المتحكمة في الثورة البيداغوجية التي عرفتها العملية التعليمية ببجاية، ومظاهر التحول الجديد الذي طرأ على المنظومة المعرفية، وأثره في التحصيل العلمي في شتى العلوم، كما حاولت استنباط الآليات التي انتهجها الأساتذة في مجالس الدرس لتبليغ المادة المعرفية للطلبة، من خلال رصد كتب التراجم والطبقات لفهمها واستنتاجها، لأنتهي بالبحث عن المؤشرات التي تبرز نجاح العملية التعليمية، وصحة المناهج المتبعة من قبل هيئة التدريس، بتتبع طبيعة الحضور وعدد الطلبة عبر المؤسسات التعليمية بالمدينة وكفاءة المتخرجين.

الكلمات المفتاحية: بجاية، التدريس، المناهج، الأساتذة، الطلبة، المعرفة، التحصيل العلمي، مجالس الدرس.

Abstract: The present research, which falls under the cultural history of the city of Bejaia during the Hafsid rule (7-9-AH/13-15 AD), aims at tracing the scientific movement of the city, by investigating the teaching and learning methods through educational institutions throughout Bejaia.

I divided the research into two parts; The first part of it, I discussed the teaching methods adopted by the Scholars of Jurisprudence, whether the classical method remained prevalent, or there are new methods and analysis of the factors that governs the pedagogical revolution in the educational process in Bejaia, and aspects of the new changes occurring in the knowledge system and its impact on knowledge acquisition. In the second part, I have identified the mechanisms adopted by the teachers in the classrooms to teach students the subject matter, by investigating biography and classes books to understand and identify those methods. Finally, I have investigated the indicators that show the success of those methods adopted by the scholars, by tracking of the nature of the attendees and the number of students through educational institutions of the city.

Keywords: Bejaia, teaching, methods, teachers, students, knowledge.

مقدمة: تعترض الباحث في تاريخ العلوم والمعرفة في العصر الوسيط ببلاد المغرب عموماً والأوسط بالخصوص إشكالية المادة الخبيرة التي غالباً ما تتجاوز التأريخ للمعرفة؛ فجل المصادر الإخبارية دون كتابها الأحداث السياسية والعسكرية، وركزوا بالخصوص على التاريخ البلاطي السلطاني، وكانت العامة أو فئات الظلّ بألوانها المختلفة المغيب الأكبر في تلك الكتابات¹، يسري ذلك على الفئة العاملة بأقل حدة، لذلك يلجأ الباحث لأنواع أخرى من المصادر التي ملأت بعض الفراغ ككتب الفهارس والبرامج²، التي يرى البعض أنّ سبب تدوينها هو رغبة الشيخ في إثبات سنده العلمي تقديراً للعلم وخدمة للطلبة؛ فيأتي على ذكر رحلاته في طلب العلم، ويترجم لشيوخه وتلامذته، ويذكر الكتب التي قرأها وأقرأها³، كما أنها تفيدنا في فهم طرق التدريس التي انتهجها الشيوخ مع طلبهم.

رصدت هذا النوع من المصادر التي تؤرخ للحياة العلمية بيجاية خلال الحكم الحفصي (ق 7-9هـ/13-15م)، واستنتجت تلك الطرق لأفهم مدى تطورها أو بقائها جامدة، أتركز على المحاور والجدال أم تعتمد على الحشو والتلقين والحفظ؟ وما طبيعة الأساليب التربوية المنتهجة في التدريس؟ وماهي المعايير التي يمكننا أن نقيس بها جدية وفعالية تلك الطرق والمناهج التربوية في تلقين المعرفة العلمية بالفضاء الثقافي البجائي خلال الحكم الحفصي؟

العرض: أقصد بطرق تحصيل المعرفة تلك السبل التي اتبعت لتبليغ المادة المعرفية ومحتوياتها للطلبة في كل فنون المعرفة العلمية التي كانت تدرّس في مؤسسات التعليم البجائية، والمناهج التربوية المتبعة لإيصال مختلف العلوم، لأفهم مدى تحكم أساتذة بيجاية في آليات التبليغ، وخلق تقاليد علمية جديدة.

1- طرق التدريس وتحصيل المعرفة: تباينت بين طريقة تقليدية كلاسيكية وطريقة تجديدية، تحكمت فيهما مجموعة من السياقات التاريخية، تراوحت بين الموروث التقليدي في التدريس المكتسب من الأجداد، ومؤثرات النخب المهاجرة إلى بجاية، وتمثل في:

أ- الطريقة التقليدية الكلاسيكية: شدّد المنظرون للتربية ببلاد المغرب الإسلامي على طريقة الحفظ والفهم⁴، وأن لا يتكل طالب العلم على القراءة من الكتب دون شيخ، وأباحوا للطلبة قراءتها إن كانت في متناولهم دون جهد مضمن للبحث عنها أو السعي وراءها، واعتبروا الأستاذ محور العملية التعليمية؛ فقال اليوسفي: "وأن يعتمد على السماع والحفظ والفهم لا على الكتب متكلاً"⁵، وأساسها الإلقاء إذ يقوم المدرس أو الأستاذ بالحديث في موضوع معين والطلبة يدونون أو يستمعون لما يقوله، ومن حين إلى حين يطلب من المستمع استرجاع الدرس فيمليه عليه، وهكذا مع بقية الطلاب حتى تتم عملية الاستيعاب والفهم⁶، ويتأكد تدرّجهم على الإلقاء وضبط شخصيتهم بالحديث وكسب الثقة في أنفسهم، ويأمر الشيخ في نهاية الدرس أحد الطلبة بترديد ما كتبه لتصحيح الأخطاء، ويطلق على من يملي على زملائه الطلبة عادة "المعين"⁷، لأنه يساعد شيخه في عملية التدريس بالاسترجاع، ولا ينتقل إلى عنصر أو جزئية إلا بعد استيعاب التي قبلها، وهو ما أطلق عليه في التربية بأسلوب التدرج عند إلقاء الأفكار من البسيط إلى المعقد، والتكيز على استعدادات الطلاب، وقدرتهم على الاستيعاب والفهم، وكثيراً ما ركز أصحابها على حفظ المادة المقدمة، والسؤال عنها بترديدها، وهو "مما يعين ثبات المحفوظ"⁸ بالمراجعة والتكرار، وقد أكد الكثير من المنظرين على أهمية الحفظ كأداة من أدوات التحصيل المعرفي على وزن ما قال أحدهم:

إِذَا لَمْ تَكُنْ حَافِظًا وَاعِيًا *** فَجَمْعُكَ لِلْكِتَابِ لَا يَنْفَعُ⁹

اشترطوا تصحيح الطالب لأخطائه قبل الحفظ بترديدها على شيخه أو على أحد الطلبة، مع الإكثار من تكرار المادة المحفوظة¹⁰، وقد فضّلها الطلبة لأنها تجعلهم أقوياء في الاسترجاع واستحضار الجواب، وقد كانت الكتب والمختصرات تستظهر للشيخ ليستكشف درجة حفظهم، وتقاس المقدرة العلمية للطلبة على أساس عدد الكتب المستظرة¹¹، وقد ساعدهم النظم على تذكرها بقوة، لذلك نجد الكثير من التراجم تأتي

في ثناياها على أسماء الكتب التي يحفظها الفقيه، ويصفونه بالحافظ والمستبحر في ترديد المسائل والفروع بطلاقة¹²، اشتهر ثلثة من الفقهاء بهذه الطريقة التي استحسبها البعض خاصة إذا كان المدرّس قادرا ومحصّلا؛ فقد عُرف الفقيه ابن تونارت الدكالي (ق7هـ/13م) بدروسه الفقهية الجيدة، بخاصة أثناء تدريسه لكتاب المدونة وإقائه على الطلبة حيث كان "مليح التفهيم، حسن الإبتداء والتّميم"¹³، ممّا يبيّن أنّ العيب ليس في طريقة تقديم الدّرس كما يرى البعض، وإنّما في مواصفات المدرّس؛ فإذا حضرت شروط الإلتقان نجح الدّرس.

قوبلت هذه الطريقة بالانتقاد من قبل بعض الدّارسين¹⁴، لأنّها برأهم اعتمدت على التقول واختصار الشّروحات، وتلقينها دون فهم ولا ضبط للمعاني، وقد ذهب ابن خلدون إلى أنّ المعلمين عقّدوا العمليّة للطلّاب بحشوهم لمادة خيرية معقّدة لا تفيد الطّلاب، وتجعلهم أسراء الحفظ والاسترجاع؛ فيطيلون عمرهم في ذلك دون فائدة¹⁵، كما أنّها قتلت روح الإبداع والاجتهاد عند الأساتذة والشيوخ¹⁶، وأكسبت الطّلبة الخمول وقلة التّدبر والتّفكير، ودفعتهم إلى الملل وكره الدّراسة لأنّهم شعروا أنّهم غير معنيين بالنّقاش والجدل؛ فغاصوا في الشّرود وقلة الإنباه، وربما يحصل التسبّع من الدّرس والشّيخ في آن واحد، ولعلّ ذلك ما جعل السنوسي يوجه التّصحح للفقهاء المدرّسين بضرورة إيقاف الدّرس عند شعور الأستاذ بقلة تركيز الطّلبة ومللهم، والعودة إليهم بعد أن يدبّ فيهم النّشاط والرّغبة في السّماع؛ فقال موجّهًا كلامه للمدرّسين: "فليقم عنهم ويتركهم، ولا يعلمهم إلّا في الوقت الذي يعلم منهم النّشاط والحرص على ذلك"¹⁷، لأنّ الفائدة هي الفهم والتّحصيل؛ فإذا غابت فلا مانع من إيقاف الدرس، وعابوا عليها اعتمادها على مختصرات وشروح مهمة تتطلّب كتباً أخرى لتبسيط معانيها وفهم مغزاها، وهي من أسباب تأخّر التّعليم في بلاد المغرب برأي الكثير.

انتقد العبدري تلك الطريقة لما دخل بجاية، وتأسّف على الوضعيّة الثقافيّة التي آلت إليها المدينة وتباكى على حالها، حين لم يجد إلّا قلة من طلبة العلم انتهجوا الطريقة التقليديّة في التدريس، واقتصروا على بعض التّأليف التي لا تنفع طالب العلم؛ فقال: "وبه أحاد من طلبة العلم قد اقتصروا على مطالعة الصّحف والدّفاتر"¹⁸، كما ذمّ طرقيهم في تصحيح الحديث النبوي الشّريف، واعتبرها طريقة شاذّة لم يعهد بها العلماء

الكبار ولا عملوا بها، حتى وإن كانت المبالغة من العبدري في تشخيص الحالة الثقافية لبجاية إلا أنها تعبر عن واحدة من مآلات مناهج التدريس التي انتهجها بعض الأساتذة، والتي لم ترق إلى مستوى الحاضرة الثانية للحفصيين.

كما نبه الأبلي (ت757هـ/1356م) ومحمد المقرئ (759هـ/1358م) وابن خلدون على تراجع المعرفة العلمية وطرق تلقيها ببلاد المغرب ما بعد القرن (8هـ/14م)، والقدر في المحتويات المدرسة والمناهج المتبعة؛ فقد رأى ابن خلدون أن كثرة التأليف أفسدت التعليم، وهو يشير إلى اعتماد المختصرات والبرامج التي كثيرا ما احتوت على مادة عسيرة محشوة قليلة الفائدة¹⁹، مع غياب روح الاجتهاد وبعث الحيوية في التصوص المدرسة، واعتبر أحد الباحثين ذلك من مظهرات انزلاق الحضارة الإسلامية نحو الضعف الذي توالى تبرا²⁰ لغياب الفهم والتحصيل الجدي، والاعتماد على الحشود دون وعي ولا إدراك للمعاني وعمق المعرفة، يعضد ذلك رواية أبي عبد الله الشريف في مناقبه، حيث يذكر أنه دخل بجاية سنة 740هـ/1339م فجلس إلى مجالس مشيختها؛ فحدثهم في مسألة من مسائل ابن الحاجب؛ فقال بعضهم: "إن ابن الحاجب عندنا اليوم يقرؤه الصبيان؛ فسألهم في أسئلة عجزوا عنها"²¹، وهو ما يختصر نتائج التلقين دون الفهم، وغياب الجدل والفحص والتمحيص في المسائل الفقهية، وعلى شاكلتها بقية العلوم.

ب- الطريقة الحدائثة وثورة في المناهج والآليات: الملاحظ من خلال قراءتنا للموروث الموحد في الفترة الحفصية المبكرة أنه بدأ يتراجع لكنه كان بطيئا نوعا ما، سواء على مناهج وطرق تدريس العلوم الشرعية خلال أو على مستوى أفضلية علم على آخر؛ فلم يعد الاهتمام منصبا على علم الكلام والجدال العقلي والتوحيد كما حرص عليه ابن تومرت، وغاب القول بأن للقرآن معاني باطنة لا يفهمها إلا المدركون لتأويل القرآن، وجعلوا المعنى الظاهري للنص هو المعنى الحقيقي²².

لم تسلم طرق التدريس من ذلك الانقلاب لسببين رئيسيين هما: هجرة الأندلسيين إلى بجاية، وإدخالهم لطرقهم ومناهجهم في التدريس والتعليم، التي كانت قائمة على النمط التقليدي المرتكز على التلقين والحفظ، والسبب الثاني هو الثورة التي أحدثها بعض الفقهاء البجائيين الذين ارتحلوا إلى بلاد المشرق لإتمام دراساتهم؛ فتأثروا بطريقة شيوخهم القائمة على المناقشة والمحاورة والسؤال²³؛ فاستحسنوها وأثروها على الطريقة

التقليدية، لذلك ارتأيت الوقوف على ذلك التجديد ونتائجه على مستوى الكفاءات المتخرجة من مجالس الدرس.

تقوم هذه الطريقة التي يفضلها الطلبة الحدّاق خصوصا، على طرح الأفكار وتداولها بين الطلبة، وعرضها على الشيخ بالتّحليل والمناقشة والإتيان بالحجّة والدليل، تولد فيها المعاني وتستدرج حتى تنضج وترسخ في ذهن الطالب، تقوم على الجدل للوصول إلى نتائج عميقة من خلال الحوار بين الطلبة والأساتذة²⁴، الشيوخ الذين اشتهروا باتباعهم تلك الطريقة عرف عن طلبتهم الميل إلى العلوم العقلية، ومناقشة الآراء وعدم التسليم إلا بما هو منصوص عليه وثابت، وقد أشاد الغبريني في برنامجه بطريقة شيخه أبي محمد بن عبد العزيز القيسي وأبي محمد عبد الله بن عباد في تدرّس الفقه؛ فقد كانا يقفان على الموطأ وكتب الفقه المالكية الأخرى بالشرح والتفصيل والتدقيق في المعاني، وإيراد الأمثلة بشكل يجعل الطالب يستوعب الأفكار، ويضع في القضايا الكبرى بتبسيطها وتعليقها في قوله: "وكل ذلك على إتقان وتحصيل وجوده بيان بتفريع وتأصيل وإجمال وتفصيل"²⁵، ثم تطرح الأسئلة على الشيوخ، ويجيبان عنها بكل دقة.

يتحدث الغبريني عن المذاكرة، وهي الأسئلة التي يطرحها الشيخ على طلبته من الدروس السابقة، والتي تقوم على الاسترجاع وقياس مدى الفهم والتّحصيل عندهم، ليتدارك النقائص ويجبر الخلل قبل فوات الأوان، وعادة ما تكون في بداية كل درس "بالمذاكرة والمباحثة وإلقاء الأسئلة، وإيراد المشكلات"²⁶، يُستشف منها نقائص المتعلم من الدرس السابق، وذكر أنّ هذه الطريقة في إلقاء الدروس لا تتسنى إلا لأفاضل العلماء وأكابر الفقهاء، مبيّنا مدى أهميتها لطلبة العلم وفائدتها الجمّة، بخاصّة وأنها تقوم على أسلوب المحاورّة والتّقاش، وإيراد المجهّم من القضايا الفقهية في أمهات الكتب الفقهية المالكية؛ فقال عن طريقة شيخه مبدئا إعجابه بها: "ذلك ما جرت عليه العادة بإيراده عند أفاضل الفقهاء وأكابر العلماء"²⁷، موضّحا النّتائج العلميّة المفيدة لتلك الطريقة والاستفادة الجمّة للطلبة: "فوقعت الاستفادة بذلك من كثير من أشياخي"²⁸، ممّا بيّن أنّها طريقة كانت منتشرة بيجاية خلال القرن 7هـ/14م: فانتهجها الكثير من المدرسين، وقد أتت أكلها، وازدادت نضوجا خلال القرن 8هـ/14م، ويؤشر على ذلك هجرة الكثير من

فقهاء تلمسان إلى بجاية للدراسة والسماع من شيوخها. أو من خلال فتاوي البجائين المتبادلة مع علماء الحاضرة الزبانية²⁹.

شرحها الغبريني جيداً، وهو يترجم للفقهاء أبي العباس أحمد الغماري (ت1283هـ/682م) عندما يحدثنا، وهو شاهد عيان، كيف كانت تجرى عملية النقاش والمحاورة داخل مجلس الدرس، ويتبين من كلامه أنّ الفقيه المدرّس حكيم في إدارة النقاش بين طلبة مجلسه العلمي بخاصة في دروس الفقه وأصوله؛ فيقوم بقراءة كتاب من الكتب الفقهية كالتنزيب مثلاً، ويورد المسألة ونقيضها، ويذهب إلى ترجيح رأي من الآراء في المسألة الواحدة بالأدلة والبراهين حتى يقع التسليم، ثم يأتي بالرأي الثاني من المسألة للبحث فيها مع طلبته، ويناقش ويجادل ويستحضر الأدلة حتى يقع الرجحان في المسألة³⁰، وكان من نتائج هذه الطريقة إعمال فكر وعقول الطلبة، وزيادة المنافسة بينهم لتقديم الحجج على ما يعتقدونه ويرجعونه من آراء علمية، وقد نقل لنا أجواء الدرس والمنافسة بين الطلبة: "ويقرأ الجلاب فيكثير البحث وتحدت القرائح"³¹. ويفتح في الأخير الشيخ الباب للأسئلة التي لا يشترط الإجابة الفورية عنها، حيث يختار منها ما يفيد الموضوع الذي قدّمه لطلبته ليزيده تفصيلاً وشرحاً، ويعود عليهم بالفهم والاستيعاب، وقد لا يجيبهم في نفس الوقت حتى يستجلي الجواب، ويبحث عنه ويرجئه إلى حصّة أخرى حتى يكتمل عنده الجواب.

قد تختلف هذه الطريقة قليلاً أثناء معالجة المسائل من أستاذ إلى آخر، لكنها في العموم ترتكز على قضية إشراك الطالب في النقاش الدائر داخل الحلقة، وقد اعتمدها الفقيه ابن عجلان (ت1276هـ/675م) الذي يترك الطالب يقرأ المادة المعرفية من كتاب يختاره الشيخ، ثم يقع الخلاف أو السؤال بين الطلبة، حتى يحتدم النقاش ليتدخل المدرّس لحسم الأمور³². ولعل ذلك ما جعل السّمهودي ينصح بملازمة الشيخ والمداومة على حضور دروس الإقراء والمتابعة الدائمة قائلاً: "أن يلزم حلقة الشيخ في التدريس والإقراء، بل وجميع مجالسه إذا أمكن"³³. ويفهم من كلامه إتباع طريقة واحدة ومنهجية واضحة لتحصل ملكة الفهم، ويزداد التحصيل في أقصر مدة ليتخرج الطالب فقيهاً مجازاً؛ فتنوع الأساتذة يفسد العقل ويشوش الذهن، ويجعل الطالب في حيرة من أمره؛ فلا يمكث مدة إلا وكره وربما انقطع عن مزاوله الدرس.

من الشيوخ الذين وصلوا العمل بتلك المنهجية في التدريس الفقيه محمد بن أبي القاسم المشدالي (865هـ/1460م) الذي كان يعمل العقل في فهم النصوص³⁴، مما نتج عنه اتجاه الفقهاء للاجتهاد في الفروع واستنباط الأحكام الشرعية، والإجابة على المسائل المستعصية، ولم يكن همهم الجمع فقط، بل ذهبوا إلى دراسة النصوص، وفهم الأحكام والتأليف في مناهي العلوم الشرعية خصوصاً³⁵.

جمع الأساتذة الذين تبنا هذه الطريقة بين الحفظ تارة والشرح تارة أخرى دون الإخلال بنظام الدرس لبعث النشاط في الطلبة، وهو مبدأ يقوم على الوسطية ويعبر الاهتمام لحالة الطلبة، مطبقاً النصيحة التربوية والتعليمية التي إنبتت على فكرة "ولياخذ من الحفظ والشرح ما يمكنه ويطبقه حاله من غير إكثار يمل، ولا تقصير يخل بجودة التحصيل"³⁶، اعتمدها كذلك الفقيه ناصر الدين المشدالي وحبدها، وكانت طريقته المفضلة في الدرس، حيث كان يحب التحري والتنقيب عن العلم الذي يدرسه، ويرفض الإستكانة إلى النقل، مما يضيفي على النص الجدة والدقة، بخاصة في علمي اللغة والمنطق، وهي الطريقة التي جعلت دروسه كما وصفت "حسنة ومنقحة"³⁷، وقد لقيت هذه الطريقة استحساناً في أوساط الطلبة لأنهم وجدوا أنفسهم في الدائرة المحورية للعملية التعليمية، وأحسوا أنهم جزء مهم فيها؛ فأصبحوا يناقشون ويبحثون ويجيبون مما فتح الباب أمامهم لزيادة الاطلاع والبحث، وجعلتهم أكثر استيعاباً لأبحاثهم عن الحشو والتركيب دون فائدة، وأصبحوا لا يشعرون بالملل أثناء الدرس، وتشوقوا للحلقات العلمية وطريقة أساتذتهم التي خرجت عن المعهود، حبدها الغبريني كثيراً، وأثنى على أصحابها في مشيخته، وأتى على أشهر من كان يطبقها من المدرسين ببجاية بخاصة في علم الفقه.

أشاد ابن خلدون بتلك الطريقة التي تشغل الذهن وتنمي ملكة الجدل، لأنها بحسبه تقوم على المجادلة والمحاورة، ومناظرة الفكرة بالفكرة خصوصاً في الأمور العلمية، عكس ما كان يحدث في المغرب المريني الذي عاب عليهم طرقهم في التعليم القائم على الحفظ دون فهم ولا تحصيل قائلاً: "ف نجد طالب العلم منهم بعد ذهاب الكثير من أعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتا، لا ينطقون ولا يفاوضون، وعنايتهم

للنفس من جائزة تستجلب أو فائدة ما تطلب وفهم أوائله بسهولة⁴³، والمعلم هو المحرك لتلك المنافسة بين الطلبة في حلقة العلمية، بهدف إثارة انتباههم وشدهم إلى الدرس، وإعمال العقل في النقاش، أو تكون من الطلبة أنفسهم بسبب الغيرة التي تحركهم، وحب التفوق على أقرانهم، وإبداء الفطنة للشيخ، بخاصة إذا وجد في المجلس من يفوقهم ذكاءً وحفظاً، وقد يحدث ذلك حتى بين الإخوة: فقد قرأ محمد المشدالي على أخيه أبي الفضل، ويبدو من خلال كلام السخاوي أن محمداً أراد إظهار تفوقه على أخيه؛ فكان يجتهد بالقراءة والحفظ ليتحقق مبتغاه، ولكن النقاش والجدال بينهما كان يفضي دوماً إلى تفوق أبي الفضل، وقد نجح في إمتحاناته ومناظراته العلمية مراراً على أخيه محمد دون مطالعة ولا مراجعة⁴⁴، مما ينم عن سعة علمه وقوة ذاكرته وحسن جداله.

2- الأساليب التربوية المتبعة: تعددت تلك الأساليب باختلاف مستوى الأساتذة والمدرسين، ولطبيعة المشيخة التي قرأوا علمها وتأثروا بها، أو لطبيعة تكوين الفقيه وتصوره للأهداف التربوية والتعليمية من التدريس، وأهم تلك الأساليب المعتمدة:

أ- التريغيب في العلم بالرفق والحلم: أشارت مصادر التربية والتعليم إلى الطرق التي ينتهجها المرابي كاللين والتواضع، والسؤال عن أحوال المتعلمين⁴⁵، ويبدو أن مشيخة العلم البجائية فهمت أساليب التعليم والتربية التي تعتمد على التواضع والنقاش الهادئ، وترفض الخشونة والعنف، ولعل ذلك يعود إلى تمرسها الطويل في التدريس من جهة، وما اكتشفته ورأته من مشيختها التي أخذت عنها في رحلاتها العلمية عبر حواضر العلم في عالم الإسلام الوسيط، حائثة الطلبة على السعي لطلب العلم، والسماح من الأساتذة، ناصحة ومرشده بأسلوب رزين، وتقديم الأدلة النصية فيما تعتقده وتنشره من أفكار تعين الطلبة بكل ما تملك منقطعة لتعليم القرآن وأحكامه على شاكلة الفقيه أبي العباس أحمد بن محمد الشاطبي (ت674هـ/1276م)، الذي كان "ناصحاً مجداً، يرغب الطالب في الأخذ عنه، ويعينه على ذلك"⁴⁶.

اشتهر الفقيه أبو الحجاج بن يوسف الجزائري (ق7هـ/13م) بالقاء فكاهاة مهبذة مليحة في الدرس من حين إلى حين لدفع الملل عن الطلبة، وتكسير التكرار الذي يجعل الطالب يسأم أو يتضجر من الدرس، ولعل ذلك الأسلوب من أسباب كثرة الحضور في حلقة، وطول مجلسه بخلاف مجالس الأساتذة الآخرين⁴⁷، أما أبو عبد الله الأصولي (ت

662هـ/1264م) فكان يتواضع لطلبته، ويلقي على مسامعهم من حين إلى حين قصة تحمل فكاهاة، أو يدايعهم ويستلطفهم بكلام فيه بعض من البسمة والإنشراح في غير إطناب، ولا يتجاوز حق الطلبة من الدرس، وقد آنت أكلها وثمارها، بحيث زادت أساتذتهم مهابة، وارتفعوا في أعين طلبتهم؛ فقد قال الغبري عنه: "كان ذو دعابة وفكاهاة. لا تحل برتبته ولا تحاط من منصبه"⁴⁸، كما أثنى على دروس الفقيه أبي العباس أحمد الغماري (ت682هـ/1283م)، وقال بأنها مختارة بشكل جيد ومنقحة يقدمها بشكل عذب تفيد الطالب⁴⁹، مما يدل على تحضيره للدروس التي يقدمها لطلبته، واستيعابه للمعارف العلمية التي يطرحها للنقاش، حتى أن الجدال في حلقته يشهد بين طلبته؛ حتى يقع الرجزان على المسائل محل الحوار، ويفهم من كل تلك الأمثلة أن هؤلاء فهموا أن ترغيب المتعلم يتم بجذبه إلى أساتذته، وكسر كل القيود بينهما بالرفق واللين والحسن دون الإخلال بأهداف العملية التعليمية.

ب- أسلوب الردع والتخويف: من خلال قراءة السيرة التعليمية للأساتذة البجائيين في مجالس دروسهم خاصة في الوعظ والإرشاد، تبين لي تركيز ثلثة منهم على أسلوب التخويف أو ما يطلق عليه في كثير من الأدبيات التراثية بالترهيب، بإتيانهم على النصوص التي تتحدث عن اليوم الآخر، وتذكير الناس بأهوال القيامة والإتيان بأحاديث الترهيب من النار وما ينتظر العصاة والمجافين، وهو أسلوب انتشر خصوصا بين الخطباء والشيوخ، إن في حلق العلم والدروس أو في خطب الجمعة والمناسبات الدينية التي تعد فرصة استغلها هؤلاء، بخاصة في حالات التفسخ الأخلاقي والفساد الاجتماعي، وكان أبو يحيى زكريا الزواوي من السابقين والمعروفين ببجاية هذه الطريقة؛ فكان كثير التخويف يستشهد بآيات العذاب والتذكير بجهنم ونارها وعذاب القبر ومهالك يوم القيامة وصور أهوالها، "كثير التخويف للناس، يحذرهم جهنم وحرها وعذابها وشرها"⁵⁰، وقد خالفه أبو مدين شعيب في ذلك الأسلوب التربوي بقوله: "لا تقنط الناس، وذكرهم بأنعم الله تعالى": فرد عليه قائلا: "لا أقدر إلا على هذا"⁵¹، مما يدل على استحبابه للطريقة الزجرية التي رأى فيها الصلاح والخير للناس ليرتدعوا، ويعودوا إلى ربهم⁵²، وكان يشدد القول، ويزجر كل من يرفض طريقته أو يخالفه فيها مبديا غضبه من المعادين لها؛ فقد ورد أن أحد طلبته اعترض عن حديثه في أهوال القيامة والنار بقوله: "شوقنا إلى الجنة": فصاح قائلا:

"متى خرجنا من التّارحتّى نذكر الجنة"⁵³، كما عرف عن الفقيه أبي تمام الوهراني (ق7ه/م13م) في غالب دروسه وفي معظم مناهجه التّركيز على تخويف الحاضرين والإستدلال بالتّصوص الشرعيّة المرهبة⁵⁴، وقد نجح في جلب النّاس إلى مجلسه، مستسيغين دروسه وطريقته في الإلقاء⁵⁵، حتّى أنّهم تأثروا به مركزاً على الإرشاد والإصلاح وتزكّيّة الأنفس وتحليلتها بالخبرات، كما عبّر الغبريني قائلاً: "وكان له مجلس يروق الحاضرين ويسر الناظرين.... وكان يوجد لكلامه في النّفس أثر"⁵⁶.

3- طرق التّحميل: إنّ المعرفة العلميّة بجاية سواء كانت المكتسبة من طرف مشيختها أم التي قدمتها للطلبة وأهل العلم ارتبطت بمجموعة من طرق التّحميل⁵⁷، وقد اختلفت من مدرّس لآخر حسب منهج شيوخه وطبيعة تكوينه والعوامل المؤثرة فيه، أو بالأحرى المدرسة التي تأثر بها خاصّة الذين ارتحلوا إلى بلاد المشرق، ولكن الإجماع واقع على أنّ الأساتذة كانوا يُحضرون وينكبون على القراءة والإستزادة من معارفهم كاجتهاد شخصي لتقديمه لطلبتهم في أفضل صورة، وقد تعدّدت طرق تحميل المعرفة من شيخ لآخر وأهمها:

الطريقة	الكتاب	الشيخ	الطالب	المصدر
القراءة	بعض الموطأ	أبو عبد الله محمد بن صالح الكناني	العبدري	العبدري/84
المناوله	سائر الموطأ كتاب التيسير	نفسه	نفسه	العبدري/123
القراءة والمناوله والسماع	كتب اللغة + الفقه	أبو الحجاج يوسف الجزائري	طلبة بجاية وهم كثر	الغبريني/103
المناوله	كتب اللغة	أبو زكريا يحيى الهمداني	طلبته	الغبريني/255
الإجازة والإستدعاء	الكتب والعلوم المحصلة	كثير	//	عنوان الدراية، الضوء اللامع

الجدول 1: طرق تحميل المعرفة

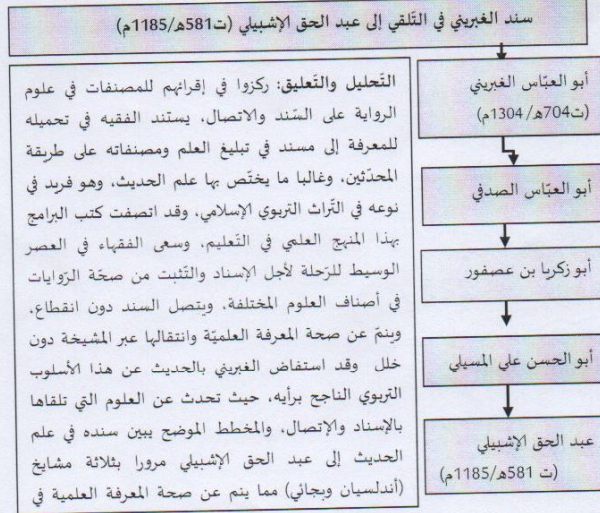
التّعليق والتّحليل: رغم تحامل العبدري على الحالة الثقافيّة لبجاية لما زارها إلا أنّه اعترف للشيخ أبي عبد الله محمد بن صالح الشّاطبي بالمعرفة العلميّة: فقد قصده طلبة العلم من أصقاع كثيرة وبعيدة للقراءة عليه والسماع منه: فيكيّفهم شرفاً أن يسمعوا

علم الحديث من فيه، وهي من الطرق المشهورة في تحميل هذا العلم⁵⁸: فالشيخ تكوينه أندلسي ثم هاجر إلى بجاية واتخذها مستقره، عين بالجامع الأعظم مدرّسا وخطيبا ما ينيف عن ثلاثين سنة، قرأ عليه العبدري جزءا من كتاب الموطأ وناوله بقيته، كما قرأ عليه كتاب التيسير⁵⁹، وقد أعجب العبدري بمنهجه وطريقته في الدروس وعده من المشيخة القلائل وبقية العلماء ببجاية، واشتهر الفقيه أبو الحجاج يوسف الجزائري (ق7هـ/13م) بطريقته في الإقراء حيث يترك الحرية للطالب في اختيار ما يقرأ من علم على الشيخ، ولعل تمكن الشيخ في علوم شتى⁶⁰. جعله يختار تلك الطريقة التي استحسبها الطلبة: فأقبلوا على مجلسه بأعداد كبيرة، مما جعل مجلسه يطول، وطلبتته يجيدون ما يسمعون من شيخهم تصويبا وتصحيحا وشرحا وتفهيما⁶¹.

حضر الغبريني مجلسا من مجالسه: فلاحظ أنه ينتقل في الفن الواحد بين عدة مؤلفات: ففي اللغة رأى أنه يدرس كتاب "الإيضاح والجمل والمفصل وقانون أبي موسى الجزولي ومقدمة ابن بابشاذ"⁶²، ثم يعرج على قراءة شعر المتنبي والمعري وكتب أدبية ونحوية، ولعل ذلك هو السبب في طول مجلسه: فلا يمل الطالب، ويدرك أنه سينتقل إلى نوع آخر فيشتاق إليه، وقد دُمّ البعض عملية الانتقال من فن إلى فن أو من كتاب إلى كتاب قبل أن يكمله دون مبررات: فينتج الملل وعدم نجاح الطالب فيما جميعا حتى يدركه دون أن يشترط فيه التبحر إلا إذا أراد، "ويعني من كل فن بالأهم فالمهم"⁶³.

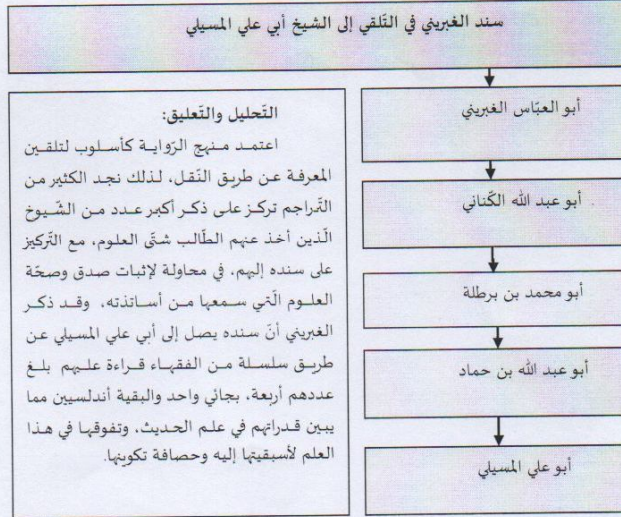
تعددت الطرق عند الشيخ الواحد: فيقول الغبريني مثلا: "قرأت عليه وسمعت منه وأخذت عنه"⁶⁴، نستشف من النص أن الطالب يقرأ والمدرّس يشرح⁶⁵، حيث يقوم الطالب بعرض ما قرأه على شيخه، ويطلق عليها المحدثون مصطلح "العرض"⁶⁶، والأخذ يوحى بمفهوم طريقة المناولة، بخاصة عند الفقهاء الذين نذروا أنفسهم للإقراء⁶⁷، حيث يقوم الشيخ بمنح الطالب كتابا أو حديثا ليرويه⁶⁸، وقد حبت طريقة المناولة في تحصيل الكتب، بخاصة إذا كانت من تأليف الشيخ المدرّس نفسه، لأنه الأقدر على إيصال فحواها ومعانيها للطلبة: فقد حرص طلبة الشيخ أبي زكريا يحيى الهمداني ببجاية على تلقي تأليفه مناولة منه⁶⁹، علما أن للشيخ برنامج تناول فيه شيوخه وتلاميذه والكتب التي درسها لكنّه في حكم المفقود⁷⁰.

سميت طريقة الإقراء بالمشافهة، أي من الشَّيخ مباشرة دون واسطة أي إقراء، وقد درس الغبريني علم القراءات مشافهة على شيخه أبي العباس أحمد الصدي (ت 1275/هـ674م)، كما سمع منه مؤلفات في الحديث ورواها عنه⁷¹، ومن أخذ هذه الطَّرُق الطَّعن في طريقة الرواية بالسَّماع دون إجازة أو يروي للبعض ثم يعممه على بقية الطلبة⁷²، وهي الإشارة التي نبّه إليها الكتاني بأنَّ الرواية دون إجازة تدخل في باب التَّدليس والغرور، وهو خلل في أسلوب السَّماع إمَّا لعدم إتمام القراءة على الشَّيخ أو أنه لم يسمع منه أصلاً⁷³، ووجدت الإجازة، وهي أن يأذن الشَّيخ لتلميذه برواية مسموعاته وكتبه وتصانيفه⁷⁴، أما المقابلة فتقوم على مقابلة كتاب بأخر في نفس الفن، وهي عادة ما يقوم بها الفقهاء المدركين لمحتويات كل كتاب مع القدرة على استخراج مواطن الخلاف وعلله، اشتهر بهذا المنهج ببجاية الفقيه أبي جعفر بن أمية⁷⁵، وانتشر أسلوب الأسانيد في حواضر المعرفة كمنهج تميزت به التربية والتعليم عند المسلمين، وظهر ببجاية من خلال مشيخة وبرنامج الغبريني اتجاهين، واحد محلي من المغرب الأوسط بشيوخه المغاربة، والثاني أندلسي⁷⁶، والشكل التالي نموذج من اتصال السند في تدريس بعض المصنفات للغبريني⁷⁷:



الشكل 1: سند الغبريني إلى عبد الحق الإشبيلي

يتصل سند الغبريني كذلك بمجموعة من الشيوخ البجائيين ليصل إلى أبي علي عبد الحق المسيلي كما يبينه الجدول التالي⁷⁸:



الشكل 2: سند الغبريني إلى أبي علي المسيلي

4- مجالس الدرس (طرق الإلقاء وطبيعة الجلوس والحضور): يشرح الرصاع الطريقة التي يلقى بها الأساتذة والشيوخ دروسهم كما شاهدها وجلس واختبرها بتونس؛ فيعد أن يختار طريقة حلقة لطلبته، والتي غالبا ما تكون في شكل حلقة يجلسون على الحصير في إحدى أسطوانات المسجد أو عرصه منه، وينتظم في حلقة الشكلية المحددة من الشيخ، ويتوجه إليهم وهو جالس على الأرض في الغالب⁷⁹، أو يجلس في المحراب إذا لم تتعدد الحلقات في المسجد ليكون عاليا فيراه جميع الطلبة ويسمعونه⁸⁰، وهناك صورا أخرى لجلوس المدرس؛ فقد يجلس على دكان أو على كرسي ليكون عاليا فيراه كل الطلبة، ويراقب كل حركاتهم وأفعالهم وينصت إليهم⁸¹، ولعل هذه الطريقة شاعت بعد

ظهور الكرامبي، أمّا في البداية فكان الشّيخ يقعد كما يقعد طلبته ليلقي دروسه ومواعظه.

المرجح دوماً أنّ المدرّس يجلس عالياً حيث يراه كل الطلبة ويسمعونه بشكل جيّد؛ فقد اتخذ أبو يحيى زكريا الزواوي كرسيًا بجامع بجاية يجلس عليه ليلقي دروسه على طلبته⁸²، ممّا يوحي لنا حرص الشّيوخ على راحتهم أثناء الإلقاء وشمول رؤيتهم لطلبتهم لمراقبة المجلس وحسن إدارة حلقة الدّرس، وقد وصف الغبريني طريقة إلقاء الفقيه ابن عجلان (ت675هـ/1276م) لدروسه، حيث يأخذ الكتب بين يديه، وعندما يهم الطالب بالقراءة من أحد الكتب المختارة يتناوله بين يديه، ثم يقع النقاش في المسائل المهمة فيتدخل الأستاذ في الأخير لحسم الخلاف وإيضاح المعاني وبيان المهم منها⁸³.

في الحلقات الكبيرة والمجالس الغاصّة كان الشّيخ يستنجد بشخص يبلغ كلامه للطلّبة الذين لا يصلهم صوته، ويسمى "بالمستملي"⁸⁴، رغم أنّي لم أجد له ذكراً في المصادر التي أرخت للمعرفة ببجاية إلا أنّ وجود مجالس كثيرة العدد كما ذكر الغبريني توجي لنا بحضوره فيها، علماً أنّ طريقة الإملاء كانت الأكثر حضوراً ببجاية وتلمسان؛ فيقف المستملي في مكان مرتفع بحيث يراه الطّلبة ويسمعونه جيّداً بصوت واضح وجمهوري يعيد ما قاله المدرّس على الطّلبة فيدونونه، ويكون من حدّاق الطّلبة ومن أحفظهم لكي لا يقع عليه اللّبس في كلام الشّيخ المدرّس⁸⁵، ويزيد المستملون كلّما زاد عدد الحضور مع تبليغهم المدرّس بعدم وصول الصّوت؛ فيضطر إلى الاستنجاد بمستملي آخر كلما تضاعف العدد، ولا يستبعد ذلك في وجود حلقات علميّة ببجاية تغص بالطّلبة، وقد أثار عن محمد بن يحيى الباهلي المسفر أنّه يجذب طريقة الإملاء التي تقوم على إسماع الطّلبة كتاباً معيناً أو كتباً من قبل المدرّس الحافظ لتلك المقرّرات، وقد اختلفوا في طرق الإملاء؛ فمنهم من كان يملي، ثمّ يتفرغ للشرح، ومنهم من يملي جزءاً ثم يناقش المتعلمين فيه، وقد كانت إملاءات الباهلي مفضّلة عند الطّلبة لكننا لا نمتلك معلومات عنها إلا ما ذكره ابن قنفذ حيث قال: "له إملاء عجيب على مختصر ابن الحاجب"⁸⁶، وتتطلّب هذه الطّريقة قوّة الحفظ عند صاحبها وسرعة استرجاع محفوظاته العلميّة وإملائها، وغالباً ما يوصف هؤلاء بأنهم "حفاظ ورواة"، وهي ميزة اختص بها علماء الحديث.

استنتج من خلال مجالس العلم وحلقات الدروس التي كانت تلتقى على الطلبة بجمالية أنّ تلك المجالس تختلف من حيث عدد الطلبة الذين يحضرونها باعتبارها فتارة أجد مجالس يحضرها عدد كبير من الطلبة والبعض يحضرها القلة، وسأحاول في هذا الجدول رسم صورة تلك المجالس العلمية للفقهاء بين الكثرة والإنتقائية لإشخص الأسباب وراء تلك الظاهرة العلمية:

المصدر	الأسباب	الحضور طبيعته وعدده	الفقيه
الغبريني/103	جودة ما يقرأه بضاعته مزجاة	مجلس واسع الحضور الكثير من الطلبة يتفنون فيما يقرأون	أبو الحجاج بن يوسف (13هـ/7م)
الغبريني/104	عالم ومتمن في كثير من العلوم	خلق كثير	أبو عبد الله بن صالح الشاطبي(ت699هـ/1299م)
الغبريني/177	التماس المنفعة العلمية والبركة	خواص الطلبة	أبو عبد الله الشريف
الغبريني/180	كلام يروق للنفس يركز على التخويف	أتباع من الجمهور	أبو تمام الوهراني (ق13هـ/7م)
الغبريني/199	فقيه وأصولي	خواص أصحابه	أبو الحسن علي الميلاني (1272هـ/670م) (ابن أساطيرت670هـ/1271م)
الغبريني/226	تقرأ عليه الكتب المذهبية زاهدا عابدا	مجلسه من المجالس المعتبرة	يعقوب بن يوسف المنجلاتي (ت690هـ/1291م)

الجدول2: طبيعة الحضور في حلقات الأساتذة الجانبيين

التحليل والتعليق: ثلثة من الفقهاء كانت مجالسهم العلمية كثيرة العدد والحضور من الطلبة، وهي مؤشر على مدى القيمة العلمية للفقهاء المدّرس، وقد أشرت أنه كلما كثر عدد الطلبة في دروس وحلقات الأستاذ دل ذلك على تمكنه العلمي وقوة حضوره في العملية التعليمية، وهي شهادة على غزارة معارفه وسلامة تكوينه في الفن الذي يتحدّث فيه أو في الفنون التي تخصصّ فيها، وبقدر ما كان مستوى الأستاذ جيّدا وتكوينه رصينا وطريقته محببة بقدر ما تمكن من إيصال المعاني واعتبر نمذجة في التدريس؛ فقد كان مجلس الفقيه أبي الحجاج بن يوسف الجزائري من أكثر الحلقات جذبا وشهرة، وصفه الغبريني قائلا: "مجلس واسع الحضور يحضر فيه كثير من الطلبة"⁸⁷، ولا نستغرب في

ذلك عند تدبرنا لسيرته، حيث كانت بضاعته مزجاة في الفقه وعلوم اللّغة⁸⁸، وطريقته في التدريس التي تقوم على التّشويق والفكاهة أحيانا مع الطّلبة، وتنويعه في التدريس بين العلوم المتنوعة من النّحو والشعر والمقامات والفقه، وانتقاله بينها بتدرج وتركه الحرّية للطّالب بقراءة ما يحبّه، ثمّ التّعليق عليه⁸⁹، كل ذلك جعل دروسه محبوبية والإقبال عليها كبيرا، مما يوحي بأنّ الطّلبة كانوا يميزون بين المدرّسين ويختارون من يناسبهم، ولكثرة عددهم وعلو شأنهم لم يستطع تذكرهم إلّا أنّ غالبيتهم يفوق الثّمانين طالبا علا كعهم، وانتصبوا في الخطط أقلّها الكتابة⁹⁰.

في حين تفرّد أبو عبد الله الشّريف (ق 7هـ/13م) بخواص الطّلبة وأفضلهم يقوم بتقديمهم كتاب "الإرشاد"، ولعلّ تدريسه لعلم العقائد الذي اختص به ثلّة قليلة من الطّلبة المجدين سبب من أسباب حضور الصفوة منهم⁹¹، كما أنّهم نالوا شرف القراءة على أحد الفقهاء الأشراف البجائيين؛ فجمعوا بين العلم وبركة الأستاذ الشّريف، وقد كانت النتيجة من ذلك المجلس المصغّر عمق الأفكار وسرعة الفهم وحصد النتائج العلميّة الجيدة، "ويجتنون أحسن الجني ثمرته"⁹²، وقد تكون طريقة الشّيخ ومواضيعه في التدريس عاملا من عوامل جذب الطّلبة؛ فقد عرف عن حلقة الزّاهد أبي تمام الوهراني حضور جمع غفير لسماعها، لأنّه يركّز على علم الرّقائق، واستعماله لأسلوب التّخويف بطريقة مستساغة، حتّى أنّ طلبته كانوا عبّادا زهادا أمثاله⁹³، وأقبل الطّلبة على دروس يعقوب بن يوسف المنجلاتي، وعدّ مجلسه من المجالس المعتمدة، كونه يقوم على كتب الفقه المالكي بشكل جيّد خاصّة كتاب "التهذيب". وقد اشتهر بدروسه بعد عودته من رحلته العلميّة، واستقراره ببجاية وجلوسه للتّدريس⁹⁴.

تظهر قوّة الحضور في حلقات الدّرس من خلال الإشارات الواردة في خضم التّراجم عن الأعداد الهائلة للمتخرّجين على يد الشّيخ، من خلال المجالس العلميّة التي كان يعقدها؛ فقد روي أنّ الشّيخ محمد بن أبي صالح الشّاطبي درس بالجامع الأعظم وخطب أكثر من ثلاثين سنة؛ فكانت النتيجة أن "روى وأقرأ، واستمع واستنفع به خلق كثير"⁹⁵. أمّا شيوخ التّصوّف فأكدوا التّعليم بالصّحبة من شيخ التّعليم، ولا يحصل العلم منه إلّا لملاقاته وزيارته ومداومة صحبته، ويلحون على ضرورة البحث عنه، والسّير في الأفق

لإجاده، علما أنهم يميزون بينه وبين شيخ التربية، الذي يقوم عموما على القدوة بالمجاهدات والتأدب والزهد⁹⁶.

الخاتمة: يفهم من خلال ما سبق أن بجاية عرفت حراكا علميا في الفترة المدروسة. ويتضح أنها استفادت من طرق التدريس والأساليب التربوية الموروثة عن الفترة الحمادية، وهو الموروث الذي لا يمكن إنكاره خاصة خلال القرن 12هـ/م، ولكن هذا لم يمنع الفقهاء والأساتذة الذين تعاقبوا على مجالس الدرس من إحداث ثورة جديدة في تلك الطرق والمناهج، بسبب العنصر الأندلسي الذي أدخل أساليب جديدة في التدريس، والرحلة العلمية لفقهاء بجاية نحو بلاد المشرق. الذين عادوا بمعطيات شيوخهم الجديدة. وطبقوها في مجالس الدرس والإقراء، وهو ما جعل الأساتذة ذوي التكوين المحلي يتجاوبون مع تلك الطرق والأساليب، مما أضفى على الدرس العلمي الجاذبية والتشويق، ومن ثم التحصيل المعرفي، وهو ما تظهره الأعداد التي تكاثرت في حلق العلم بالمساجد والزوايا المتعددة مشكلين فضاءً بجائيا متميزا في تلك الفترة.

الهوامش:

- 1) عن أسباب تعيب الكتابة التاريخية للفئات المبهمة ينظر إبراهيم الفادري بوتشيش، الميمشون في تاريخ العرب الإسلامي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2014، ص26-34-2000. تختلف مسمياتها مشرقا ومغربا من الفهرسة إلى البرنامج والمعجم والكتب والمشيخة وأسماء أخرى، أنظر في تعريفاتها بالتفصيل عبد الله المرابط التري، فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، ط1، 1999، ص30-50-3 (طبرت أول فهرسة في بلاد الغرب الإسلامي في بلاد الأندلس وهي فهرسة أبي علي الغالي (ت356هـ/966م))، ينظر تفصيل تاريخ بداية الفهرسة التري، المرجع السابق، ص100 وما بعدها.
- 4) في أسس ومبادئ المنهج التربوي وطرق التدريس عند علماء الغرب الإسلامي أنظر: هادية صبيو، "الفكر التربوي ببلاد المغرب من محمد ابن سحنون وأبي الحسن الفاسي وصولا إلى ابن خلدون"، نشر ضمن: حركة المعارف والمؤسسات التعليمية بالمجال العربي والمتوسطي، أعمال الندوة العلمية الدولية التي تم تنظيمها أيام 28-30 نوفمبر، الحمامات، تونس، (2014) ص201-217.
- 5) القانون في أحكام العلم وأحكام العالم وأحكام المتعلم، تح حميد حماني البوسي، مطبعة فضالة، المحمدية، ط2، 2013، ص389.
- 6) فهرست الرّصاع: تحقيق محمد العنابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1967، ص135-70000. المصدر نفسه، ص158-80000. القانون في أحكام العلم، ص421-90000. جواهر العقدين في فضل الشرفين شرف العلم الجلي وشرف النسب العلي، تح: موسى بناني العليلي، مطبعة العاني، بغداد، 1984، ص377.
- 10) قال السموودي في هذا المعنى: "ولا يحفظ شيئا قبل تصحيحه لأنه يقع في التحريف والتّصحيح"، أنظرها في: جواهر العقدين، ص362-110000. نفس الشيء جرى في تلمسان فقد كان الشيخ محمد بن يوسف السنوسي (ت895هـ/1489م) يحفظ مختصر ابن الحاجب وكتاب التسهيل في النحو، ويجعل بعضا من الكتب أورادا في اليوم باستمرار، أنظر في ذلك: المواهب القدسية في المناقب السنوسية، تح: علاء بوريقي، دار كردادة للنشر والتوزيع الجزائر، 2011م، ص63.
- 12) التنبكي: نيل الإبهاج بتطريز الديباج، تح: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2004، ص40.
- 13) عنوان الدرّاية في من عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح: راجع بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ص222.

- 14) في أهم الكتب التي اعتمدت في الحفظ في الفترة الحفصية وغيوب تلك الطريقة أنظر ما كتبه: إبراهيم أنوار: نقل المعرفة في المغرب المريني وإفريقية الحفصية (إلى منتصف القرن 14هـ/م)، مطبعة دار المناهل المغرب، 2011، ص 212-214.
- 15) المقدمة، تج: عبد السلام الشماوي، CNRPAH، الجزائر، 2006، ج 3، ص 209.
- 16) في نظرة ابن خلدون لحالة التعليم في الغرب الإسلامي أنظر عبد المجيد التجار، "تقويم ابن خلدون للحالة العلمية في الغرب الإسلامي" نشر ضمن العلم والفكر العلمي بالغرب الإسلامي في العصر الوسيط، تنسيق بناصر البعزاتي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، ط 1، 2001، ص 163-175، وانظر كذلك ما كتبه في هذا الشأن: نبيل خلدون قرينة، "بنية التعليم في المجتمع العربي الإسلامي في العصر الوسيط"، نشر ضمن حركة المعارف والمؤسسات التعليمية بالمجال العربي والمتوسطي، ص 72-77.
- 17) المواهب القدسية، ص 49. 18) رحلة العبدري، تج: علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين للطباعة والنشر، ط 2، دمشق 2005، ص 83-19. حيث ذكر أن كثرة الاختصارات الموضوعية في العلوم مخلة بالتعليم، أنظر: المقدمة، ج 3، ص 211.
- 20) وهو رأي الباحث التونسي إبراهيم جدلة "جغرافية المعرفة في العهد الحفصي"، الحياة الثقافية، ع 114 (2000)، ص 35.
- 21) عبد الله بن محمد التلمساني: مناقب التلمسانيين، تج: قندوز بن محمد الماحي، دار الوحي، الجزائر، ط 1، 2018، ص 97.
- 22) الفرد بيل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، تر: عبد الرحمان بدوي، ط 3، دار الغرب الإسلامي لبنان، 1987، ص 355. 23) أمثال ناصر الدين المشدالي الذي أقر ابن خلدون أنه عاد من رحلته المشرقية بعد أن سمع من تلاميذ ابن الحاجب وتمكن من العلوم العقلية والنقلية، علم غزير ومفيد، أنظر: المقدمة، ج 2، ص 352.
- 24) فيريست الرصاع، ص 134. 25) عنوان الدرزية، ص 307. 26) المصدر نفسه، ص 307. 27) المصدر نفسه، ص 307. 28) المصدر نفسه، ص 307. 29) عن بعض التلمسانيين الذين دخلوا بجاية وسمعوا من مشيختها أنظر عبد القادر بويابة "الروابط العلمية بين بجاية وتلمسان من خلال كتاب البستان لابن مريم المديوني"، عصور الجديدة، العدد 8/7، 2012-2013، ص 99-102. 30) عنوان الدرزية، ص 112. 31) المصدر نفسه، ص 112. 32) أنظرها بالتفصيل في: المصدر نفسه، ص 116.
- 33) جواهر العقدين، ص 365. 34) راجع بونار: "عقبة المشداليين العلمية في بجاية على عهدها الإسلامي الزاهر"، مجلة الأصالة، ع 19 (1974)، ص 315. 35) راجع بونار: "عبد الحق الإشبيلي البجائي"، مجلة الأصالة، ع 19، ص 263. 36) جواهر العقدين، ص 360. 37) عنوان الدرزية، ص 365. عن أسباب تغييب الكتابة التاريخية للفئات الميمشة بنظر: إبراهيم القادري بوتشيش: الميمشون في تاريخ الغرب الإسلامي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2014، ص 26-34. 38) المقدمة، ج 2، ص 352. 39) السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، دت، ج 10، ص 182. 40) المصدر نفسه، ج 9، ص 183. 41) رد عليه بالقول: "لا تنزلوني إليكم ودعوني أرقبكم إلى فيبعد كذا وكذا مدة حتى تصيرون إلى فيهم كلامي فكان الأمر كما قال" أنظره في: المصدر نفسه، ج 9، ص 183. 42) المصدر نفسه، ج 9، ص 184. 43) القانون في أحكام العلم، ص 421.
- 44) يقول السخاوي في ذلك: "فيجهد في المطالعة حتى يتوهم أنه يفوق عليه فإذا وقع الذي وفقه على مباحثات وإشكالات ما خطلت له" أنظرها في: "الضوء اللامع، ج 9، ص 183. 45) للتفصيل فيها بنظر الموسوعة الفقهية، ج 13، ص 13. 46) عنوان الدرزية، ص 91. 47) المصدر نفسه، ص 103. 48) المصدر نفسه، ص 210. 49) المصدر نفسه، ص 112.
- 50) ابن قنفذ، أنس الفقير وعز الحفيري، تج: نجاح عوض صبيام، ط 1، دار المقطم، القاهرة، 1422 هـ/2002، ص 65. 51) المصدر نفسه، ص 65. 52) ولعل لسان حاله قول الشاعر:
- طوني لمن قلته بالله مُشْتَعِلٌ
 ينكي النهار وطول الليل يتَهَمِلُ
 خوف الوعيد وذكر النار أحرقة
 والدفع منه على الخدين يتَهَمِلُ
- أنظر الأبيات في: أنس الفقير، ص 66. 53) المصدر نفسه، ص 65. 54) عنوان الدرزية، ص 180-181.
- 55) نقل ابن سعد أخباره عن عنوان الدرزية عند حديثه عن علماء وهران، أنظر: روضة النسيان في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين: تج: يحيى بوعزيز، ط 1، المؤسسة الوطنية للإشهار ANEP، الجزائر، 2004، ص 185. 56) عنوان الدرزية، ص 181.
- 57) وقد عدد القاضي عياض هذه الطرق، وهي ثمانية؛ فقال: "السماع من لفظ الشيخ، القراءة عليه، المناولة، الكتابة، الإجازة، الإعلام للطالب أن هذه الكتب من روايته، وصيته بكتبه له، الوقوف على خط الراوي فقط" أنظر بالتفصيل ما كتبه القاضي عياض: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق السيد أحمد صقر، مكتبة التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس.

1970. ص 68، وللتحليل والتفصيل أكثر أنظر: آسيا ساحلي: إنتاج وانتقال المعارف في المغرب الأوسط، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الأمير عبد القدر للعلوم الإسلامية، فسنطينة، 2007-2008، ص 138.
- 58) أي السماع من لفظ الشيخ سواء من حفظه أو من كتابه، ولذلك يتردد لفظ الطالب رواية عن شيخه بقوله: "سمعت أو حدثنا أو حدثني"، وهذه الطريقة مشهورة في علم الحديث، أنظر: المرجع نفسه، ص 138-59- (الرحلة، ص 84-60) ذكر الغبريني أن الشيخ كان له باع في علم الفقه وعلوم اللغة من نحو وأدب، أنظر عنوان الدراية، ص 103-61- المصدر نفسه، ص 103-62- المصدر نفسه، ص 103-63- جواهر العقدين، ص 361-64- في ترجمته لشيخه أبي الحجاج يوسف، عنوان الدراية، ص 103-65) حيث يكلف طالب مجد ونجيب بقراءة الكتاب وكان يعرف بالأندلس بقارئ المجلس، أنظره في: الحسين أسكان: تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط، ص 112، ويكون الطالب القارئ على قدر من العلم والقراءة الجيدة والدقيقة بسمعه العام والخاص، وكذلك عند: عبد الجليل غريان: التعليم بتلمسان في العهد الزياني، جسر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2011، ص 149.
- 66) فإذا عرض الطالب على الشيخ يقول: عرضت على فلان أقرأ فلان وأنا أسمع، أنظر: عنوان الدراية، ص 103، وللتنقيب ينظر كذلك: إدريس عزوزي: "مفهوم الرواية والدراية عند المحدثين"، مجلة جامعة القرويين، ج 10، 1989، ص 132.
- 67) عنوان الدراية، ص 103-68- وهي نوعان متناولة مقرونة بإجازة ومناولة جديدة عن الإجازة، إدريس عزوزي: "مفهوم الرواية والدراية عند المحدثين"، ص 132-69- عنوان الدراية، ص 255-69- "مفهوم الرواية والدراية عند المحدثين"، ص 132-70) ذكر الغبريني أن طلبته كانوا يطلبون إجازته على برنامج مشيخته الذي يحتوي على رواياتهم وعلى أسانيد في علوم كثيرة، أنظر: المصدر نفسه، ص 255-71- المصدر نفسه، ص 108-72- مولاي عمر صوصي علوي: النظام الفكري والإجتماعي للشرح العلمية على عبد الدولة العلوية 1330/هـ من خلال كتاب "الإعلام بمن حل مراكز وأغماط من الأعلام" للفاضل عباس بن إبراهيم المراكشي، أطروحة دكتوراة، جامعة ظهر المهراز، فاس، 2001-2002، ص 194-195.
- 73) فبرس الفهارس والأبواب، تج إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1982، ج 1، ص 262، وللإستزادة في موضوع التندليس في الحديث ينظر الخطيب البغدادي، الكفاية في معرفة أصول الرواية، تج إبراهيم بن مصطفى، ط 1، دار الهدى، مصر، 2003، ج 2، ص 367-372-74) حتى وإن لم يسمعا أو يقرأها عنه، أنظر "مفهوم الرواية والدراية عند المحدثين"، ص 132-75- عنوان الدراية، ص 216-76- وشيوخه بيجاية أربعة وهم أبو سعيد تونارت الدكالي (ق 7/هـ 13م) وأبو زيد عبد الرحمان الزنناسي (ق 7/هـ 13م) وأبو زكريا اللقيني (ق 7/هـ 13م) وأحمد بن عثمان الملباني (ت 644/هـ 1246م)، أما الإتجاه الأندلسي فمثله علي الزيات وأبو بكر محمد بن محرز (ت 955/هـ 1257م)، أنظر عنوان الدراية، ص 223، 224، 241، وما بعدها، مشيخة الغبريني، ص 307 وما بعدها، وأنظر ما كتبه في الموضوع إبراهيم أنوار: نقل المعرفة في المغرب المريني وإفريقية الحفصية، ص 64-66-77- عنوان الدراية، ص 77-78) عنوان الدراية، ص 72-79- فهرست الرصاع، ص 133، وأنظر كذلك ما كتبه في الموضوع: محمد الباجي بن مامي: مدارس مدينة تونس من العهد الحفصي إلى العهد الحسني، المعهد الوطني للتراث، تونس، 2006، ص 49.
- 80) علي عطية شرقي: "أهم المساجد والمدارس الحفصية"، ص 83-81- في طريقة جلوس الأستاذ والطلبة أنظر ما كتبه: محمد الباجي بن مامي: مدارس مدينة تونس من العهد الحفصي إلى العهد الحسني، المعهد الوطني للتراث، تونس، 2006، ص 49-50.
- 82) عنوان الدراية، ص 65-83- المصدر نفسه، ص 116-84- عن المستنلي أنظر محمد منير سعد الدين: العلماء عند المسلمين مكانهم ودورهم في المجتمع، دار المناهل للطباعة والنشر، بيروت، 1992، ص 191.
- 85) يشترط في المستنلي أن يلقي كلام الشيخ على الطلبة دون تحريف ولا تبديل في النص ودون أخطاء، أنظر بالتفصيل في كل ذلك منير الدين أحمد، "دور المجالس والحلقات في النظام التربوي الإسلامي حتى القرن الخامس الهجري/العاشر الميلادي"، نشر ضمن: التربية الإسلامية المؤسسات والممارسات، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمان، الأردن، 1989، ج 1، ص 292-293.
- 86) عنوان الدراية، ص 103-87- المصدر نفسه، ص 103-88- حسب تعبير الغبريني، ص 103-89- ولعل تلك الأسباب مجتمعة جعلت المتخرجين من حلفاته ودروسه يوقفون الثمانين ممن ساهموا لتعريبه وتحفظوا الوظائف المختلفة، أنظر المصدر نفسه، ص 103-90- المصدر نفسه، ص 103-91- المصدر نفسه، ص 177-92- المصدر نفسه، ص 177.
- 93) قال الغبريني إن بعضهم ذوو كرامات، أنظر: المصدر نفسه، ص 180-94- المصدر نفسه، ص 226-95- المصدر نفسه، ص 104-96- أنظر بالتفصيل في الموضوع: محمد فتحة: التوازل والمجتمع أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 6 إلى 9هـ/12-15م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 1999، ص 235.